# مصطلح الأعراب في القرآن الكريم

## مفهومه ودلالته

إعداد
الدكتور منجد محمد رضوان أحمد أبو بكر
الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن
جامعة ٢٩ مايو - إسطنبول

## ملخص البحث:

فإن هذا البحث يقصد لبيان الفرق بين دلالة كلمة (البدو) وكلمة (الأعراب) في الاستعمال القرآني ، حيث درج المفسرون على اعتبار اللفظين مترادفين مما يؤدي إلى القول بأن البدو وسكان البادية هم الأعراب الذين أخبر القرآن الكريم بعدم أهليتهم لأن يكونوا محلاً لتعلم كلام الله تعالى وحدود شرعه ، وهذا ما يقصد البحث لتبرئة سكان البادية والبدو منه ،لقد كانت الأعرابية مصطلحاً له دلالات خاصة في المجتمع العربي الذي كان محلاً لنزول القرآن ،ولقد تبين لي من خلال البحث أن دلالته ترتبط غالباً بالهيئة ومكان السكن ،وهذا في الاستعمال الأصلي لهذا المصطلح ،أما في النصوص القرآنية فلقد بدا للباحث بعد استقرائها وتحليلها وبيان مناسبات ورود مصطلح الأعرابية فيها ،وعقد مقارنات بينها ،وزمن نزولها ،وترتيبه ،وأثر ذلك في الدلالة ،أقول : تبين أنَّ دلالات المصطلح تطورت لتدل من بعد على نمط حياة ومنهجية تفكير وأسلوب عيش ،وإن كانت أكثر ما تكون في البوادي ،لكنها ليست ملازمة لها ولا مرتبطة بها ؛فليس كل بدوي أعرابياً ولا كل أعرابي بدوياً ،بالرغم من شهادة الواقع على غلبة الظن في الأخيرة ،إلا أن الأعرابية حالة قد تتكرر في كل بلاد الدنيا ومع كثير من فئات البشر بغض النظر عن لغة نطقهم وأصولهم العرقية وجنسياتهم ، وعليه فهناك فرق كبير بين البدو والأعراب ،لا سيما في أهليتهم لتعلم كتاب الله تعالى وحدود شرعه.



**الكلمات الدلالية والمفتاحية للبحث:**

الأعراب، البدو، البادية، الاصطلاحات القرآنية، الاصطلاحات النبوية.

Abstract

This article studies the stereotype claim that the Bedouins, i.e. People who live in the desert, are the same of al-A‘rāb, who are mentioned in the Qur’an with negative connotation. The Qur’an refers to al-A‘rāb as being ignorant and not eligible to learn or understand the words and commandments of God. During the time of the revelation of the Qur’an, the term A‘rāb had special reference in the Arab society. This concept usually referred to the personal style and life environment in the desert. As for the Qur’an, and after a detailed comparison and analytical study of this concept’s connotation in the Qur’anic text, it is found that finds that the Qur’an developed this concept into a new meaning, namely, a way of life and thinking that is not always connected to the place itself, i.e. desert. Not every Bedouin is A‘rābī and vice versa. Al-A‘rāb in the Qur’an refers to a case that is not necessarily connected to the desert, but can be repeated anywhere in the world and with many categories of people, regardless of their languages, races or nationalities. Therefore, there is a huge difference between Bedouins and al-A‘rāb, especially in their eligibility to learn and understand the commandments of God..

**تقدمة البحث:**

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ﷺ، وبعد..

فإن ضبط أي علم من العلوم يقوم بشكل أساسي على ضبط مصطلحاته وتحديد مفهوماتها بشكل دقيق، توضيح يمنع التداخل والاختلاط، ويحدد القصد والمراد، لا سيما حين يكون الحديث عن أكثر الكتب دقة وصرامة في انتقاء تعبيراته وتراكيبه، واختيار مصطلحاته وألفاظه، وهو القرآن الكريم، وحين لا تتحقق هذه الدقة في دراسة التعابير والمصطلحات سيكون الشطط والبعد عن مراد الله تعالى من كلامه، وسيحمل القرآن على غير محمله، ولا فرق —حينئذ– أكانت القضية المطروحة من فضائل الأعمال أم من أصول الاعتقاد، وإن كان الخطب في الأخيرة أكبر وأجلّ، وعليه؛ فإن هذا البحث يقصد لتبرئة البدو وسكان البادية مما رموا به من الاتهام بأنهم هم الأعراب الذين شنَّع القرآنُ الكريم عليهم، وشنَّ حربًا شديدة لمنعهم من أن يكونوا محلًّا لتعلم كلام الله تعالى وحدود شرعه؛ إذ من أهم مقاصد القرآن الكريم أن يحارب القومية والفئوية والعنصرية، ومن غير المعقول أن يحارب ما يدعو إليه، وكذلك من غير المعقول أن يحارب ثلث المجموع البشري، وأن يستَعديَهم، وهو الداعيةُ للأخوة والمحبة، وطرْحِ كل ما من شأنه تفريق الأمة وإفساد ذات بينها؛ إذ الناس أهل أرياف ومُدن وبوادي، وأهل البادية –لا سيما في وقت نزول القرآن– كانوا كمًّا كبيرًا وعددًا لا يستهان به، ولو كانوا قلة، فهذا لا يبرر ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن القرآن الكريم يقصد بالأعراب أهل البادية في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٩٧)؛ إذ تبين لي أن مصطلح الأعراب يقصد به فئة من الناس لا بحسب مكان إقامتهم، وإنما بحسب طبيعة تفكيرهم ومنهجية تعاملاتهم وردود أفعالهم حيال ما يعرض لهم من أحداث ومواقف، وذلك من خلال استعراض الآيات التي ورد فيها مصطلح الأعراب، ثم الأحاديث الشريفة التي عرضت لذكرهم، وإن كانت بعض النصوص النبوية أو أقوال الصحابة لم تفرق بين البدوي والأعرابي، فإنني ينبغي أن أشير لقضية منهجية في غاية الدقة، وهي أن المصطلح القرآني له دلالات خاصة، لم ترد دائمًا في الأحاديث الشريفة بنفس الدلالة، ومن ذلك مثلًا

النداء بـ (يا أيها الناس) فالخطاب النبوي يقصد بهذا النداء المسلمين والمؤمنين ولا يفرق بينهم، وكتب الصحاح والسنن تحفل بعشرات الروايات التي تؤكد هذا الأمر، ومن ذلك ما رواه عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: (يا أيها الناس، أي يوم هذا؟) قالوا: يوم حرام. قال: (فأيُّ بلد هذا؟) قالوا: بلد حرام. قال: (فأيُّ شهر هذا؟) قالوا: شهر حرام. قال: (فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا). فأعادها مرارًا ثم رفع رأسه، فقال: (اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت)(١).

أما في التعبير القرآني فالشأن مختلف؛ حيث يقصد القرآن بندائه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عامة الخلق، مؤمنهم وكافرهم، فلقد ورد النداء في عشرين موضعًا من القرآن الكريم، منها: صدر سورة النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١)، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ (الحج: ١)، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣)، والمتأمل في هذه الآيات جميعًا يجد أنها تخاطب جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وفاسقهم، تذكرهم بربوبية الله لهم، وفقرهم إليه –سبحانه–، وأصل نشأتهم، وميزان تفاضلهم، كي يكون ذلك دافعًا إلى عبادته وحده بلا شريك، وإخلاص الدين له.

ومما تتباين فيه الدلالة بين القرآن والسنة كذلك التعبير بكلمة (حَلَفَ) فالقرآن الكريم استخدم هذه الكلمة باشتقاقاتها في ثلاثة عشر موضعًا جميعها في مقام الحنث باليمين والكذب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ (القلم: ١٠)، وقوله: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (المجادلة: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾ (التوبة: ٧٤)، وسواها كذلك، أما في الحديث

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **الجامع الصحيح**، كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ رقم (٦٥)، القاهرة: دار الشعب، الطبعة١، ١٩٨٧م، ص(٢١٥/٢).

الشريف فالأمر مختلف؛ إذ يستخدم الجذر (حَلَفَ) في اليمين الصادقة والكاذبة على السواء، كما في البخاري: عن أم سلمة أن النبي ﷺ حلف لا يدخل على بعض أهله شهرًا، فلما مضى تسعة وعشرون يومًا غدا عليهن، أو راح. فقيل له: يا نبي الله حلفت أن لا تدخل عليهن شهرًا، قال: (إن الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا)(١).

وقال ﷺ: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأتها وليكفر عن يمينه)(٢).

والأمر يحتاج لدراسات واسعة للتفريق بين أمثال هذه الاصطلاحات المشتركة بين القرآن والسنة(٣)، مع الوقوف على دلالاتها الدقيقة لاستخراج العبر والفوائد، ولكيلا يقع خلط خطير كما الشأن في مصطلح الأعراب.

الأعرابية نمط حياة ومنهجية تفكير وأسلوب عيش، كانت أكثر ما تكون في البوادي، لكنها ليس ملازمة لها ولا مرتبطة بها، فليس كل بدوي أعرابيًّا ولا كل أعرابيٍّ بدويًّا، بالرغم من شهادة الواقع على غلبة الظن في الأخيرة، إلا أن الأعرابية حالة قد تتكرر في كل بلاد الدنيا، ومع كثير من فئات البشر بغض النظر عن لغة نطقهم وأصولهم العرقية وجنسياتهم.

## أهمية البحث:

محاولة إرساء قواعد دراسة المصطلح القرآني في حدود الاستخدام القرآني، وضمن مقاصده وقواعده من غير تحكم الفترة التي نزل فيها وظروفها الاجتماعية والمعيشية، أو ضغط البيئة أو حتى حصرها في الدلالات السائرة في المحيط النازل فيه، فضلًا عن التي يؤول إليها في الاستخدام النبوي، وليس معنى الكلام أن القرآن نزل بدلالات لا يعرفها العرب وقت نزوله، بل غاية الأمر أن القرآن الكريم لم يقف عند حدود استخدام العرب للألفاظ أو حدودهم في فهم مراداتها، إنما توسع في الدلالات لأقصى مدى وأبعد حد، في إطار طاقات

---

(١) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب هجر النبي أزواجه (٤١/٧).

(٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الأيمان، باب من حلف على يمين ووجد غيرها خيرًا منها، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م، ص(٨٥/٥).

(٣) أفضل مَن كتب في هذا الموضوع –فيما أعلم– الدكتور إبراهيم عوض في كتابه الماتع (**القرآن والحديث، مقارنة أسلوبية**)، والأمر يحتاج للمزيد من الدراسات، إذ لم يستغرق الكتاب كل ما يمكن أن يدخل فيه كمصطلح الأعراب.

اللغة وقدراتها، دون تكليفها فوق إمكاناتها أو ما لا يستطيعه كاهلها، بالإضافة لما أبدع في التركيب والصياغة حتى زاد من قدرة اللغة ذاتها على التعبير والإبانة، من خلال نظمه المعجز وتعبيره البليغ؛ فابتكر في الأساليب والتراكيب، وأضاف للغة من المميزات ما جعلها أهلًا لتحمّل القرآن، ولتتسع لمعانيه الفياضة الجمة.

**إشكالية البحث:**

إن عدم الدقة في فهم المصطلحات القرآنية ينعكس سلبًا على المفهومات المستنبطة من النص المقدس ويحمله ما لا يحتمل، مما يؤثر على وجهة النظر المتعلقة به، سواء من أوليائه أو أدعيائه أو أعدائه، وإنَّ ما يذهب إليه الكثيرون من الخلط بين مفهوم الأعرابية والبدوية وادعاء الترادف بين المصطلحين يؤدي إلى الدعوى بأن القرآن الكريم رفض فئة من المجتمعات الإنسانية كثير عديدها لأمور فوق طاقاتها، وليست في دائرة مكنتها، وأن الرفض كان على أساس العرق والجنسية، إذ المشهور لدى عدد من الفسرين(١) أن الأعراب الذين يقصدهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٩٧)، هم سكان البادية، بلا تفريق بينهم، مما يعني أن القرآن الكريم يتصادم مع نفسه ويتعارض مع ذاته، إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، فلا تفريق بين الناس على أساس العرق أو اللون أو محلة الميلاد والإقامة، وإلا فالآيتان متعاندتان أو في أقل تقدير متشاكستان، وهذا ما لا يرتضيه أحد فضلًا عن أن يقول به.

وعليه؛ فكان مقصد البحث أن يقف عند هذه الإشكالية لحلها وأن يوضح مقصد القرآن الكريم في إطلاقه لمصطلح الأعرابية، وأنه لا يدل على ما ذهب إليه الكثيرون من ترادفه مع مصطلح البدوية.

---

(١) انظر: مثلًا تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٢٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/٨٦)، وفتح القدير للشوكاني (٣/٣٠٥)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٣٤٩، وجمهور المفسرين على هذا، ولا أعلم قائلا بمذهبي.

**أهداف البحث:**

١. بيان دلالة مصطلح الأعراب في القرآن الكريم ومفهومه، ثم التطور في استعماله في النص القرآني، وإثبات أن دلالته لم تقف عند حدود ما عرفت العرب، بل توسع القرآن الكريم في مفهومه ومقاصده.

١. إثبات براءة القرآن الكريم من فرية محاربته لفئة من الناس على أساس عرقي أو قومي، وتحديدًا سكان البادية ممن يصح عليهم وصف البدو، وبالتالي إظهار انسجام القرآن مع نفسه في تطبيقاته إذا ما درست في ضوء تشريعاته.

٢. التفريق بين مصطلح البدو ومصطلح الأعراب.

٣. التفريق بين الاستخدام القرآني للمصطلحات والاستخدام النبوي؛ إذ يمكن التفريق أحيانًا في الدلالات، وليس الأمر مطردًا، مما يدعو لضرورة التدقيق والبحث، لاسيما عند الإشكال والخلط، أو التعارض مع الأصول والقواعد.

٤. النمذجة والتمثيل لما يمكن أن تكون عليه الدراسات في هذا الباب.

**الدراسات السابقة:**

بعد بحث طويل -فيما وقع لي من مصادر- لم أجد دراسة خاصة تحل الإشكال الذي أعرض له، وإنما وجدت دراسات عامة تبحث في فكرة بحثي وتتناول تطبيقات متعددة، ليس منها ما رُمت دراسته، ومن أجلِّ من درس المصطلح القرآني والحديثي، وفرق بينهما الدكتور إبراهيم عوض في كتابه (القرآن والحديث، مقارنة أسلوبية)، ولقد لفت انتباهي أنه صدر كتابه بقوله: أول دراسة من نوعها في تاريخ الفكر الإسلامي. وهذا ما يؤكد ما وصلت إليه من أن هذه الدراسات في المصطلح القرآني والنبوي لا تزال بكرًا تحتاج المزيد من الجهود والدراسات، وتفعيل مراكز البحث لهذه الغاية.

كما وجدت مؤتمرًا عقد في المغرب لدراسة المصطلح القرآني عام ٢٠١٢م في جامعة ابن زُهر، بعنوان (المصطلح القرآني وأثره في تأصيل المعرفة)؛ حيث قدمت فيه أربع عشرة ورقة، بعضها تأصيلي والآخر تطبيقي، ولم أستطع الاطلاع على الأبحاث سوى عناوينها؛ حيث لم

تنشر حتى تاريخه.

**منهج الدراسة:**

قامت دراستي على منهج الاستقراء والتحليل والمقارنة.

**إجراءات الدراسة:**

قمت باستقراء مواطن ورود المصطلح في القرآن الكريم وتحليل تلك المواطن، وبيان الدلالة القرآنية للمصطلح، ثم مقارنة الدلالات القرآنية بدلالة المصطلح في الحديث الشريف وعصر نزول الوحي، مع الرجوع لكتب اللغة وإثبات الأصل اللغوي للمصطلح والكشف عن المعنى الذي وضعته العرب له، لإثبات أن المرادات القرآنية في حدود دائرة الدلالات للكلمة العربية، وأن القرآن قادر على استخراج كل الطاقات الكامنة في اللفظ، وليس كذلك أيٌّ من البشر.

وهاؤم الدراسة ..............

## الأعراب في اللغة والاصطلاح:

كلمة أعراب اسم جنس من الثلاثي (عَرَب)، وليست جمعًا لها، قال سيبويه: ليس لها واحد من جنسها، لذا فلقد عبرت العرب عن واحدها بالإضافة أو النسبة، فقالت: أعرابيّ وواحدتها المؤنثة أعرابية، كما في قولنا: مدائن، نقول: مدائنيّ ومدائنية[1]، وحقًّا فهي تدل على النسبة كما في النسبة لدمشق دمشقيٌّ، وفارس فارسيّ، لكنها صارت ياء تفريق كذلك بين الجمع والمفرد، فالعرب تفرق أحيانًا بين الجمع والمفرد بالتاء؛ فتقول للكثير: تمر، وللواحد: تمرة، ومفرد العنب: عنبة، وجمر مفردها: جمرة، وكذلك تفرق بين المفرد والجمع بالياء، فتقول للكثير: روم، ولواحدهم: روميّ، ومنها أعراب: أعرابيّ، ويسمى عند النحاة اسم الجنس الجمعي، وهو: ما تضمن معنى الجمع دالًّا على الجنس، ويميز مفرده بزيادة تاء التأنيث، أو ياء النسب في آخره، ومقتضى القياس أن يجمع على أعاريب[2].

قال ابن فارس: العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها: الإبانة والإفصاح، والآخر: النَّشاطُ وطيبُ النَّفس، والثالث: فسادٌ في جسمٍ أو عضو[3]. أما من الأصل الأول؛ فقول رسول الله ﷺ: (الثَّيِّبُ يُعرِب عنها لسانُها، والبِكر تُسْتَأْمَر في نفسها)[4]. ومن الأصل الثاني قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٦-٣٧)، والمرأة العَرُوب الضاحكة الطيبة النفس. والأصل الثالث كما في صحيح مسلم: أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن أخي عَرِبَ بطنُه. فقال له: (اسقه عسلًا)[5]، ويقال من ذلك: امرأةٌ عَروبٌ أي لَعُوب، وفي

---

(١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، ت:عبد السلام محمد هارون، الناشر: الخانجي، ص(٢٦٢/١)، بتصرف يسير.

(٢) الصبان، لمحمد بن علي الصبان الشافعي، **حاشية العلامة الصبان على شرح الشيخ الأشموني على ألفية الإمام ابن مالك**، (٣٨/١)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**، ت:شهاب الدين أبو عمرو، بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٩٨م، ص(٣٠٠/٤).

(٤) أحمد بن حنبل، **المسند**، أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت٢٤١هـ)، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط بدون، حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه (١٢٩/٤)، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع، والحديث في سنن ابن ماجة (٦٠٢/١)، وقال الألباني: صحيح.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل (٢٦/٧)، أي: به فساد ومرض.

حديث عائشة رضي الله عنها: فاقدروا قدر الجارية العَرِبَة[١]، قال النووي: معناه: أنها تحب اللهو[٢].

وقال القرطبي: والعَرِبة: المحبّبة إلى زوجها، وقيل: الغَنِجة، وقيل: المشتهية للَّعب؛ كما قال في الرواية الأخرى: (الحريصة على اللهو) بدل: (العَرِبة)[٣]. وبين المِعنيِن نسب كبير؛ لكنها إن كانت صغيرة تُعذر في لهوها، أما إن كانت كبيرة مُكَلَّفة فيكون من الغُنْج الممنوع والتَّكسر المحرم، إلا إن كان للزوج، ففيه أجر.

قال ابن منظور: قال الأزهري: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتًا، وإن لم يكن فصيحًا، وجمعه العَرَب، كما يقال: رجل مجوسي ويهودي، والجمع بحذف ياء النسبة: اليهود والمجوس، ورجل مُعرِب إذا كان فصيحًا، وإن كان عَجَمِيَّ النسب، ورجل أعرابي –بالألف– إذا كان بدويًا صاحب نُجْعَة وانتِوَاء وارتياد للكَلإ وتتبع لمساقِط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم[٤]. ومن خلال ما حكاه ابن منظور عن الأزهري؛ فالعربي إشارة للنسب، أما الأعرابي فهي إشارة للطبيعة الثقافية والفكرية والتي تتأثر بالطبيعة الجغرافية، وغالبًا ارتبطت السِّمات الأعرابية بمن يسكنون البادية، كثيري التنقل والترحال؛ إذ من شأن سُكنى البادية أن تؤثر في أخلاق الناس لقساوتها وصعوبتها وشظفها، مما ينعكس على انفعالاتهم فتقسو مما يحيطها من القسوة، وتَصْعُب أخلاقُهم من صعوبتها، وتَشْظُفُ سجاياهم من شَظَفِها، ولو لم يكونوا من العرب الأصلاء، كأن يكونوا أعاجم، قال أبو الفداء في تاريخه: والأعرابي منسوب إلى الأعراب، يقال رجل أعرابي إذا كان بدويًا، وإن لم يكن من العرب، ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويًّا، ويقال: رجل أعجم وأعجمي، إذا كان في لسانه عجمة، وإن

(١) المصدر السابق، ص(٢١/٣).

(٢) النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (ت٦٧٦هـ)، **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص (٢٨/٣).

(٣) القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (٦٥٦هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق مجموعة منهم محي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، ط١/ ١٩٩٦م، ص(١٠/٨).

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ) **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط٣ ١٩٩٩م، ص(٥٦٨/٦)، النجعة مكان الخضرة والخصب والنبات، والانتواء هو التنقل من مكان لغيره.

كان من العرب[1]. ونخلص إلى أن العربية كما أنها تكون بالنَّسب فإنها باللسان كذلك، أما الأعرابية فهي قضية متعلقة بالعوارض لا الجواهر، ومتغيرة بحسب الظروف والأحوال التي تحيط بالإنسان، ونمط عيشه، وما تربى عليه من خِلال وصفات، وليس لها ارتباط بالنَّسب والعِرق، بَلهَ اللغة، وإلا فإنها لن تتغير بكل ذلك البتة، قال ابن منظور: ولو أن قومًا من الأعراب الذين يسكنون البادية حضروا القرى العربية وغيرها وتناءوا معهم فيها سموا عربًا ولم يسموا أعرابًا[2].

## الأعراب في القرآن الكريم:

وبعدُ فلا بد من تتبع لمواطن ورودها في النصوص القرآنية بشيء من التمهل والتأمل لنحدد الدلالات الدقيقة لهذا المصطلح، وهل طرأ عليه شيء من التطور، وهل كانت في كل السياقات بذات المعنى، وتدل على فئات خاصة، سنجد أن كلمة (الأعراب) وردت عشر مرات في كتاب الله تعالى، وها هي بحسب ترتيب النزول كالتالي: مرة في الأحزاب، وأخرى في الحجرات، وثنتان في الفتح، وستة منها في سورة التوبة، وظاهر أنها لم ترد إلا في القرآن المدني، وهذا أمر له دلالاته التي سنعرض لها إن شاء الله تعالى .

أما المرة الأولى؛ ففي سورة الأحزاب، وهي من أوائل السور المدنية، ولئن كان هناك خلاف في ترتيب نزولها بشكل دقيق، فلا خلاف في أنها من البواكير، وأنها قبل أخواتها الأخريات اللاتي وردت فيهن كلمة (الأعراب)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الأحزاب: ٢٠).

وكانت المرة الثانية في الحجرات في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٤).

---

(١) أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن شاهنشاه (٧٣٢هـ)، **المختصر في أخبار البشر أو تاريخ أبي الفداء**، مصر:المطبعة الحسينية، ط١، ص(٣٩١/١).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ص(٥٨٧/١).

وفي الفتح في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ (الفتح: ١١).

وفي قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦) .

أما في التوبة -وهي السورة قبل الأخيرة في ترتيب النزول- فلقد وردت كلمة الأعراب ست مرات: أولها في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٠) .

ثم وردت ثلاث مرات متتالية في قوله: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٧ -٩٩) .

وفيها كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١).

وفي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٠).

وسأبدأ باستعراض الآيات شرحًا وتوضيحًا بما يساعد في فهم المصطلح المقصود، أما في الأحزاب فكان التعبير دقيقًا ومفرقًا بين مصطلحين مهمين؛ الأول هو (البدو)، والثاني (الأعراب)، فقال تعالى: ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾، وعليه فلا

بد من افتراق بين الدلالتين، فلو كان البادون هم الأعراب لكان كافيًا أن يقول: ﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾، ولا حاجة لذكر كلمة الأعراب؛ لأنها ستكون تكرارًا لا موجب له، وعند النظر في تفسير الطبري -رحمه الله تعالى- مثلًا نجده لا يفرق بين الأمرين، يقول: وإن يأت المؤمنين الأحزابُ، وهم الجماعة: واحدهم حزب "يَوَدُّوا" يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفًا من القتل. وذلك أن قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد؛ وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابي، وواحد العرب عربي، وإنما قيل أعرابي لأهل البدو، فرقًا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر(١).

وقال ابن كثير: ويَوَدّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم(٢).

ومن المعاصرين الطاهر بن عاشور، يقول: و"الْأَعْرَاب": هم سكان البوادي بالأصالة، أي: يودوا الالتحاق بمنازل الأعراب ما لم يعجزوا(٣).

قلت: لم يفرق المفسرون بين كلمة البدو والأعراب، فالأعراب هم سكان البداية، والبدو كذلك، فدلالة اللفظين واحدة، وعليه كما أسلفت فإنه يمكن الاكتفاء بكلمة (بادون) وعندها؛ فإن كلمة الأعراب نتيجة حتمية؛ لأن البَادِيَ هو من يدخل البادية، قال القرطبي: بدا فلان يبدو إذا خرج إلى البادية. وهي البِداوة والبَداوة، بالكسر والفتح. وأصل الكلمة من البُدُوِّ وهو الظهور(٤). أو كان يمكن الاكتفاء بقوله: "يودون لو أنهم في الأعراب"، ويبرز

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ط١، ٢٠٠١م، ص(٥٧/٩).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م، ص(٣٩١/٦).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٩٧٣م)، **التحرير والتنوير**، بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠م، ص (٢٢٢/٢١).

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق سالم البدري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ص(١٥٤/١٤).

حينئذ السؤال التالي: لماذا جمع بين لفظين لهما دلالة واحدة -بحسب قول المفسرين- والإيجاز يقتضي عدم ذلك؟ وليس من عادة القرآن أن يفعل، وهو الذروة في البلاغة والقمة في البيان.

ومن هنا يمكنني أن أشرع ببيان مقصدي من البحث والدراسة حول مصطلح الأعراب في القرآن الكريم، حيث أقصد إلى تبرئة البدو وسكان البادية مما ألصق بهم من الوصف بأنهم هم الأعراب الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم، فالبادية محل يسكنه البدو، وقد يكون من جملة سكانه الأعراب، فالبدو نسبة للبادية، أما الأعراب فالأصل في اللفظة من الجذر (عرب) كما مر بنا سابقًا، وليس للفظ أو أصله أو مشتقاته صلة بمحل الإقامة والسكن، وإنما تتعلق دلالته بنمط التفكير، ومنهجية التعامل مع الأشياء، والعصبيات المتعددة التي تنسب للجاهلية، فالآية تتحدث عن المنافقين الذين لا يريدون لقاء العدو ويتمنَّون لو أنهم في البادية من حيث المكان فيرتفع عنهم جزء من العَتبِ لبعد مَحلتِهم، ثم مع الأعراب من حيث المنهجية وطرائق التفكير وردود الأفعال؛ حيث لا معتبة عليهم البتة، إذ شأن الأعراب الجحود والكفر بما أمر الله، وعدم لزوم حدوده التي أنزل: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٩٧).

ودليل التفريق بين الأعراب والبدو ما حكاه يوسف عليه السلام عن أهله حين قدومهم مصر: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ (يوسف:١٠٠)، فلم يصفهم بالأعراب وإن كانوا بدوًا، ويدل على ذلك إجابة النبي ﷺ لمسألة نفر من اليهود عن أشياء كما في حديث ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، نسألك عن أشياء، فإن أجبتنا فيها اتبعناك وصدقناك وآمنا بك. فذكر أنهم مما سألوا، قالوا: أخبرنا ما حرَّم إسرائيل على نفسه؟ قال: (كان يسكن البدو فاشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئًا يلاومه إلا لحوم الإبل وألبانها؛ فلذلك حرمها)، قالوا: صدقت[1]. فليس سكان البادية أعرابًا، وإلا؛ فالنبي يعقوب وابنه يوسف -عليهما السلام- كانا أعرابًا أو بِأَخْلاقِهم الفظة —

(١) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى**، ت: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م، باب كيف تؤنث المرأة، وكيف يذكر الرجل (٢١٨/٨)، صححه الألباني.

حاشاهما-، وإن صح أن يوصف البعض بهذا الوصف؛ لأن البادية مظنة تشكيل العقلية الأعرابية[1]، ومما يدل على هذا التفريق ما رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري: أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلوا رفقاء، رفقة مع فلان، ورفقة مع فلان، قال: فنزلت في رفقة أبي بكر، فكان معنا أعرابي من أهل البادية، فنزلنا بأهل بيت من الأعراب...[2]، ونلاحظ التفريق بين الأعرابي والبدوي، ويفهم من الكلام أنه لا يشترط في الأعرابي السكن في البادية.

ومعلوم أنه كان من عادة الأشراف من العرب أن ترسل أولادها إلى البادية للارتضاع، حتّى يشبّ الولد وفيه طهارة الجوّ الطلق، وفصاحة اللغة البدوية، التي لم تشبها رطانة الحضر المختلط من أعراق مختلفة، وشجاعة القبائل التي لا تعرف جبنًا مما تصنعه قيود المدينة، وصفاء النفس كالذي في سماء الصحراء ورمالها، والأخلاق العربية الأصيلة التي تنحسر كلما أغرق الناس في المدنية، وهكذا ارتأى عبد المطّلب للنبي ﷺ أن ينشأ، فتربى في بادية بني سعد، فكان أكمل الناس خُلقا، وأعظم البشر فصاحة، وأصفى العباد نفسا، وأكرم الخَلق طبعا، فلم تكن العرب تعيب أحدا ببداوته، ويُعاب واحدُهم إن وُصِف بالأعرابي. قال ابن منظور: والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فرح بذلك وهش له، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له[3].

بل كان الصحابة يُقدِّرون أهل البادية لما فيهم من العقلاء، وليس كذلك حالهم مع الأعراب، ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك، يقول: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك

(١) ويدل على ذلك حديث النبي ﷺ: (من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن)، سنن أبي داود، (٧٠/٣)، والترمذي، (٥٣٤/٤)، والنسائي، (١٩٥/٧) ونقله ابن حجر في الفتح في معرض القبول ولم يعقب عليه (٦٠٢/٩)، وصححه الألباني وعبد الفتاح أبو غدة.

(٢) أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ص(٥١/٣).

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ص (٥٨٧/١).

.....[١].

وكذلك أخرج البخاري عن أنس: أن رجلًا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: (ويلك وما أعددت لها) قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: (إنك مع من أحببت). فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: (نعم) ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا[٢] وعن ابن عمر: أن رجلًا من أهل البادية سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل، فقال بأصبعيه هكذا: (مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل)[٣].

أما الأعراب؛ فكان ذكرهم في معرض الذم، ومن ذلك ما رواه البخاري عنهم مما يدل على سوء فهمهم، وقلة عقلهم في غالبهم، فعن زيد بن خالد رضي الله عنه أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ عن اللُّقطة، قال: (عَرِّفها سنة فإن جاء أحدٌ يخبرك بِعِفَاصِهَا وَوِكَائِهَا وَإِلاَّ فَاسْتَنْفِقْ بِهَا)، وسأله عن ضالة الإبل، فتمعر وجهه، قال: (ما لَكَ ولها مَعها سِقاؤُها وحِذاؤُها تَرِدُ الماءَ وتأكلُ الشجرَ، دَعها حتى يجدها ربُّها ) وسأله عن ضالة الغنم؛ فقال: (هي لك، أو لأخيك، أو للذئب) [٤].

وعن أنس بن مالك أن أعرابيًا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ: (لا تُزْرِمُوهُ) ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه[٥].

وعن جابر بن عبد الله أن أعرابيًا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أقلني بيعتي . فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي . فأبى، ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي . فأبى، فخرج

---

(١) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، ص (٣٢/١).

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ص(٤٨/٨).

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م، كتاب الوتر، باب كم الوتر، ص(٥٣٤/١).

(٤) البخاري، **الصحيح**، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ص(١٦٦/٣)، العفاص هو الكيس الكبير على ظهر الجمل يتدلى من الجانبين يوضع فيه المال والأمتعة والأشياء، والوكاء هو الحبل الذي يشد به العفاص، وقوله استنفق: أي إباحة التصرف باللقطة بعد انتهاء مدة التعريف.

(٥) المرجع السابق، باب الرفق في الأمر كله (١٤/٨)، لا تزرموه: لا تقطعوا عليه بوله، يقال زرم البول إذا انقطع.

الأعرابي، فقال ﷺ: (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها)[١].

وعن نافع حدثني نبيه بن وهب قال: بعثني عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان يخطب بنت شيبة بن عثمان على ابنه، فأرسلني إلى أبان بن عثمان، وهو على الموسم، فقال: ألا أراه أعرابيًا، إن المحرم لا ينكح ولا ينكح، أخبرنا بذلك عثمان عن رسول الله ﷺ[٢]. وانظر كيف عبر عنه بصيغة تدل على الانتقاص والتجهيل، فقال: (ألا أراه أعرابيًا)، كما يمكن أن يفهم منه العذر له بكونه من الأعراب، فليس غريبًا أن يجهل أحكام الشرع وحدود ما أنزل الله على رسوله.

بل وحذر النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم من مخالفات الأعراب، وعدم لزومهم للحق الذي جاء به، فعن عبد الله المزني أن النبي ﷺ قال: (لا تغلبنَّكم الأعرابُ على اسم صلاتكم المغرب)، قال: (وتقول الأعراب: هي العِشاء)[٣]. وهذا لأن من شأن العقلية الأعرابية التصلب والاتباع للموروثات، وتقديس ثقافة الآباء والأجداد، ولو كان على حساب الشرع أحيانًا، وهذا هو محل الإشكال، وإلا فقد ورد أن اسم العِشاء الأولى يطلق على صلاة المغرب، والعشاء الآخرة لما بعدها، لذا عنون البخاري الباب بقوله: (باب من كره أن يقال للمغرب العشاء)، قال ابن حجر: قال الزين بن المنير: عدل المصنف عن الجزم؛ كأن يقول باب كراهية كذا؛ لأن لفظ الخبر لا يقتضي نهيا مطلقًا، لكن فيه النهي عن غلبة الأعراب على ذلك، فكأن المصنف رأى أن هذا القدر لا يقتضي المنع من إطلاق العشاء عليه أحيانًا، بل يجوز أن يطلق على وجه لا يترك له التسمية الأخرى كما ترك ذلك الأعراب وقوفًا مع عادتهم، قال: وإنما شرع لها التسمية بالمغرب؛ لأنه اسم يشعر بمسماها أو بابتداء وقتها، وكره إطلاق اسم العشاء عليها؛ لئلا يقع الالتباس بالصلاة الأخرى، وعلى هذا لا يكره أيضًا أن تسمى العشاء بقيد كأن يقول العشاء الأولى، ويؤيده قولهم العشاء الآخرة كما ثبت في

(١) المرجع السابق، باب المدينة تنفي الخبث (٨٩/٩).

(٢) مسلم، **الصحيح**، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته، ص(١٣٦/٤).

(٣) البخاري، **الصحيح**، باب من كره أن يقال للمغرب العشاء، ص (١٤٧/١).

الصحيح(١).

ونجد في بعض الروايات عدم التفريق بين البدوي والأعرابي، بل نجد ذات الحديث حين تتعدد طرقه ورُواته يُعَنونِونَ مرة بكلمة (بدوي) ومرة (أعرابي)، ففضلًا عن القضية المنهجية التي أشرت إليها في المقدمة من التفريق بين دلالة الكلمات بين القرآن والحديث، فإن عدم التفريق يكون —غالبًا– في الأحاديث التي ليست للذم، كما في حديث أنس الآنف عن البدوي الذي سأل النبي متى الساعة، فإنه في صحيح مسلم بلفظة الأعرابي، وهاؤم الرواية عن نفس الصحابي: عن أنس بن مالك أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة قال له رسول الله ﷺ: (ما أعددت لها). قال: حب الله ورسوله. قال: (أنت مع من أحببت)(٢)، أما حين الذم فيكون التعبير بكلمة (الأعرابي) وذلك لأن الغالب أن الأعرابي بدوي، لكن ليس كل بدوي أعرابيًا، ومما يشهد لذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج، فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تَعَرَّبتَ. قال: لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو(٣). قال ابن حجر: تعربت: أي السكنى مع الأعراب(٤). ونقل النووي عن القاضي عياض قال: أجمعت الأمة على تحريم ترك المهاجر هجرته ورجوعه إلى وطنه، وعلى أن ارتداد المهاجر أعرابيًا من الكبائر(٥). وقال ابن الجوزي: ومعنى تعربت عدت أعرابيًا بعد صحبة رسول الله ﷺ(٦). فالسكنى في البادية لا تستلزم أن يكون الساكن أعرابيًا، وإن كانت مظنة ذلك، وإلا فلا يأذن له النبي ﷺ بما فيه النقيصة والذم، بل كان رسول الله ﷺ يحرص على زيارة البدو، فعن المقدام بن شريح عن أبيه قال: سألت عائشة عن

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ص(٢/٤٤).

(٢) مسلم، **الصحيح**، باب المرء مع من أحب، ص (٨/٤٢).

(٣) المرجع السابق، باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه، ص(٦/٢٧).

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، ص(١٣/٤١).

(٥) النووي، **شرح مسلم**، ص(٦/٣٣٣).

(٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م، ص(١/٤٩٠).

البدو، قلت: وهل كان النبي ﷺ يبدو؟ قالت: نعم كان يبدو إلى هؤلاء التلاع[١].

يقول ابن خلدون: أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر، قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر، ويصعب عليها اكتسابه؛ فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر صعب عليه طريقه، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليها أيضًا عوائده، وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها، قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك، حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم، فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم، لا يصدهم عنه وازع الحشمة، لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولًا وعملًا، وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها، فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير، فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها، فيسهل علاجهم عن علاج الحضر، وهو ظاهر. وقد يتوضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر والبعد عن الخير. فقد تبين أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر. والله يحب المتقين[٢].

كما نجد أحاديث كثيرة يعلم فيها النبي أهل البادية الإسلام والأحكام بالرغم من ورود

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الأدب المفرد**، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١ ١٩٨٩م، ص٢٠٣. وأحمد بن حنبل، المسند، مسند عائشة رضي الله عنها (٥٨/٦)، وصححه الألباني.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، **المقدمة**، دار يعرب ط١، ٢٠٠٤م، ص٥٩.

النهي(١) عن تعليم الأعراب في قول ربنا تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٩٧)، إذن فلا بد من فرق بين الأعراب والبدو، ومن ذلك حديث من سأل علن صلاة الليل السابق الذكر، ومن ذلك أيضًا حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دَفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (ادخروا ثلاثًا ثم تصدقوا بما بقي). فلما كان بعد ذلك قالوا يا رسول الله: إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون منها الوَدَكَ. فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك؟). قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. فقال: (إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت فكلوا وادخروا وتصدقوا)(٢).

وعن يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمربد، فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنك من أهل البادية؟ فقال: أجل. قلنا: ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك. فناولناها فقرأناها فإذا فيها: (من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش: إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي ﷺ، وسهم الصَّفِيِّ أنتم آمنون بأمان الله ورسوله). فقلنا: من كتب لك هذا الكتاب؟ قال: رسول الله ﷺ(٣).

---

( ١ ) معلوم أن الخطاب في الآية صيغ على طريقة الخبر، لكنه خبر فيه معنى الإنشاء، ومن هنا ظهر النهي كما عبرتُ عنه في المتن أعلاه، فليس مقصد الآية أن تقول: إن الأعراب وهم الذين لا يثنون ركبهم للعلماء، ولا يجالسونهم، ولا يطالعون كتابا، ولا يسمعون محاضرا، أجدر أن يكونوا دون غيرهم علما ممن يحرصون على ما سبق من وسائل العلم والمعرفة، لذا فإنني لا أظن أن القرآن الكريم يقصد – فقط – أن يخبر في الآية بهذا الخبر البدهي الذي لا يغيب عن أي أحد، وإنما جاء الخبر ليفيد النهي عن وضع العلم في غير موضعه ممن قد يحمله على غير جهته، كما ورد الأثر: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله. (صحيح البخاري، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، وتأمل عنوان الباب –متفضلًا–.

(٢) مسلم، **الصحيح**، باب بيان ما كان من النهى عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث فى أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، ص (٨٠/٦)، دف: أي جاؤوا مسرعين يتدافعون، والودك هو الدهن الذي يغطي اللحم.

(٣) أبو داود، **السنن**، باب ما جاء في سهم الصفي ص(١١٢/٣)، جمع صفية قال في المجمع: الصفي ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل القسمة والصفية مثله وجمعه الصفايا. قال الطيبي: الصفي مخصوص به ﷺ وليس لواحد من الأئمة بعده. **عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي**، (١٨٠/٨).

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج، فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كلَّ فارسٍ بن فارس. قال: يريد أن يضع كل فارس بن فارس، ويرفع كل راع بن راع. قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته، وقال: (ألا أرى عليك لباس من لا يعقل)، ثم قال: (إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌ عليك الوصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله الا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر)[1].

وما ورد من تعليم الأعراب يحمل على استخدام اللفظين في المعنى الواحد، إذ لم يفرقوا في كثير من الأحيان بين البدوي والأعرابي في الروايات لا سيما في ظاهر صورتهما وهندامهما.

ولو أردنا تعداد الصحابة ذوي الأصول البدوية سيعينا العد، ولن نفي، ولعل أشهر من يُذكر منهم أبو ذر الغفاري وشأنه معلوم، وانظر في الاستيعاب والإصابة ستجد الكثير الكثير، أما حكماء البدو وشعراؤهم فهم أكثر من أن يحيط بهم الإحصاء، ومن أهمهم الأحنف بن قيس السعدي (٦٧هـ) من بادية بني سعد، كان الأحنف أحد الجلة الحلماء الدهاة الحكماء العقلاء يعد في كبار التابعين بالبصرة، وله دعاء النبي ﷺ: اللهم اغفر للأحنف، ولم يره[2].

وأكثم بن صيفي بن رباح التميمي الحكيم المشهور؛ إذ لما بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يَدَعُوه، قال: فليأتِ من يبلغه عني ويبلغني عنه، قال: فانتدب له رجلان؛ فأتيا النبي ﷺ فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك من أنت؟

---

(١) أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ص(١٦٩/٢)، صححه شعيب الأرناؤوط.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢م، ص(٢١٠/١).

وما أنت؟ وبما جئت؟ قال: (أنا محمد بن عبد الله وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، فأتيا أكثم فقالا له ذلك، قال: أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوسًا ولا تكونوا فيه أذنابًا، والراجح أنه مات على الإسلام[(١)].

أما الشعراء: فالفرزدق وجرير ورؤبة، قال أبو عمرو بن العلاء: لم أرَ بدويًا أقام في الحضر إلا فسد لسانه غير رؤبة[(٢)] والفرزدق[(٣)]. وفي الفرزدق قالوا: لولا الفرزدق لضاع شعر العرب، ولما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة[(٤)]. والعدو الصديق للفرزدق جرير[(٥)] كذلك، وما أبو الطيب المتنبي[(٦)] إلا من البدو الأصلاء، والقائمة طويلة ليس لها حصر معلوم.

كما أننا نجد عددًا كبيرًا من القبائل البدوية أسلمت واتبعت النور والحق الذي جاء به النبي ﷺ كقبيلة غِفار وبني سعد وبني زهير وبني تميم وقبيلة طيء والكلبيين والكثير سواهم،

---

(١) المرجع السابق، (٢١١/١).

(٢) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أَو أَبو محمد (١٤٥هـ) كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته ف اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ.

(٣) همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته أبو فراس (١١٠هـ) وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء.

(٤) البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ت: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ص(٢٢٢/١).

(٥) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (١١٠هـ) شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا.

(٦) أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي (٣٥٤هـ) الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة ان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكنًا باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء وهو أحد أهم مفاخر الأدب العربي وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك والفخر بالذات، وعرف بأنه شاعر الحكمة حتى صار الكثير منه أمثالا سائرة.

وعام الوفود كان حافلًا بهم.

إن مما يعتبر من جملة الاتفاقات البشرية تقسيم الناس من حيث أنماط عيشهم إلى: سكان البادية، وسكان الريف، وسكان المدينة، وليس هذا الأمر قاصرًا على العرب، بل يشمل كل البشرية، وما الهنود الحمر في أمريكا إلا صنف من البدو، والتتار كذلك من بادية الصين المتصلة ببادية منغوليا وتركستان، وصحراء فكتوريا في استراليا -رابع أكبر صحراء في العالم- وسكانها الأصليون من البدو ورعاة البقر، ولا يخفى حال الغجر الرُّحَّل الذين ينتشرون في معظم بلاد الأمريكيتين وأوروبا، فضلًا عن صحراء شمال إفريقيا الأكبر في الأرض والتي فيها الطوارق الأمازيغ، وعلى الطرف المقابل من البحر الأحمر بادية الجزيرة العربية ببدوها وقبائلها العريقة.

كل هذه الحشود البشرية الهائلة التي تنتمي للبداوة، وتعشق الترحال والتنقل؛ حيث الماء والكلأ، والتي تخلقت بأخلاق الصحراء -كما مر بنا سابقًا- هل يمكن أن يعلن القرآن الكريم عداوته لها وتحذيره منها في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ (التوبة:٩٧)؟ ولأي شيء؟ وهل يمكن لأسباب عرقية ديموغرافية فرضت عليهم فرضًا!؟ .....

إن هذا لمن أشد الأمور استحالة، كيف لا والقرآن الكريم هو من يمنع النظرة العرقية والإقليمية الضيقة، ويحارب العنصرية والقومية المقيتة، فلم يرد في أي نص منه البتة الحديث عن عرق مفضل بسبب جنسه أو قوميته، بل كان دائما يخاطب الفئة المكرمة في منظوره بصفة الإسلام أو الأيمان، وهو القائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، وأكد أصل البشر الواحد من أب واحد وأمهم واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله -عز وجل- قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء، مُؤمنٌ تقيٌ وفاجرٌ شقيٌ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، لَيَدَعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام، إنما هم فحمٌ من فحمِ جهنم، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجِعْلان التي تدفعُ

بأنفِها النَّتْن)[١].

وعن جابر بن عبد الله قال: كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فأتى النبيَّ ﷺ فسأله القَوَد؛ فقال النبي ﷺ: (دعوها فإنها منتنة)[٢]. وقال رسول الله ﷺ: (من قتل تحت راية عُمِّيَّةٍ يدعو عصبية أو ينصر عصبية فَقِتْلةٌ جاهلية)[٣].

وفي سنن أبي دواد قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)[٤].

فظاهر في أدبيات هذا الدين وقواعده الأساسية رفض القوميات والعصبيات بكل صورها، وعليه فحديثه عن الأعراب حديث عن فئة من الناس لها طريقة تفكير خاصة، ومنهجية حياة متفردة، وليس حديثا عن عرق معين وقوميات محددة، كما أن مكة كانت محاطة بالقبائل البدوية، وكثير من سكانها هم كذلك، ولم نجد حديثًا في القرآن المكي عن الأعراب البتة، ثم وجدناه في القرآن المدني، ولقد كانت مظاهر الحياة المدنية أكثر بروزًا في المدينة المنورة منها في مكة المكرمة، وكذلك الزراعة؛ حيث كان سكانها أهل زرع، كما كان لليهود أثر واضح في تمدين الحياة وتطويرها.

ويبرز السؤال الملح في هذا المقام، ما السر في ظهور مصطلح الأعراب في القرآن المدني، وما دلالته؟

لقد أشار ابن فارس في المعجم إلى أن من الدلالات التي يخرج عليه الثلاثي (عَرَبَ) الفساد والخلل، والأعرابي في أصله هو العربي الذي فسدت منهجية تفكيره، وأنماط عيشه، حتى عِيبَ بها، كما أنه من يأبى العلم، ويرفض ثني ركبتيه لدى العلماء، لذا فلقد أراد المنافقون —كما في أية الأحزاب— الهرب من الغزو إلى البادية عند الأعراب من سكانها؛ لاشتراك بينهم وتوافق في كثير من الأشياء، فالأعرابية مرحلة من عدم وضوح الرؤيا أو

(١) سنن أبي داود، باب في التفاخر بالأحساب، (٤/٤٩٢).
(٢) رواه الشيخان واللفظ لمسلم، باب نصر الأخ ظالما أو مظلومًا، (٨/١٩)، كسع: أي ضربه برجله من خلفه.
(٣) مسلم، **الصحيح**، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ص(٦/٢٢).
(٤) أبو داود، **السنن**، باب في العصبية ص(٤/٤٩٤).

الاستقرار على رأي، والبعد عن لزوم الجادة، لغلبة الأعراف والعادات والتقاليد، ونمط العيش الموروث، ولأن عروبتهم طاغية على دينهم لزمهم الوصف المشتق منها فكانوا أعرابًا لكنهم لَحِقَ عروبَتَهم بعضُ الفساد والإشكال، كما أنهم في صراع بين لزوم مرادات الدين من جهة والثبات على موروثاتهم من الأخرى، وتتجاذبهم كلٌ لجهتها، أمَّا هم ففي حيرتهم يترددون؛ لذا كانت المرة الثانية التي جاء فيها ذكر الأعراب في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٤). تأكيد لتلك الحيرة، وعدم استقرار الرأي وعُشو البوصلة، وشدة الصراع الذي في نفوسهم بين القوتين المتغالبتين، قوة الدين والإيمان، وقوة العرف والعادة، قال الطبري بعد ذكر عدد من الأقوال في تأويل هذه الآية: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، القول الذي ذكرناه عن الزهري، وهو أن الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق: آمنا. دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا: آمنا بالله ورسوله. ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه، والذي قائله فيه محق، وهو أن يقولوا: أسلمنا. بمعنى: دخلنا في الملة وحقنَّا الدماء والأموال، بشهادة الحق(١).

فالأعرابية حالة وسط بين الإسلام والنفاق، كما النفاق حالة وسط بين الإسلام والكفر، قال الشوكاني: وهم بنو أسد أظهروا الإسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة، فأمر الله —سبحانه– رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ أي: لم تصدقوا تصديقًا صحيحًا عن اعتقاد قلب، وخلوص نية، وطمأنينة ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، أو للطمع في الصدقة، وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر ولم تؤمن قلوبهم، ولهذا قال —سبحانه–: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم، بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح، ولا نية

(١) الطبري، **جامع البيان**، ص(١٤/٣٨٨).

خالصة[١]. والفرق بين حالة النفاق والحالة الأعرابية أن المنافق يريد هدم الدين ونقض عُراه، وهو يفعل ما يفعل لا بدافع البحث عن نفعه الشخصي وحسب، إنما غايته محاربة الملَّة وتحويل الناس عن مبادئهم، أما الأعرابيّ فشأنه مختلف إذ هو يقصد المصلحة الذاتية فقط والمنفعة الشخصية، وهو لا يتحرك بدافع عقيدي كالمنافق، فالأعرابي يتصرف بطريقة فطرية ساذجة، كما أنها مفضوحة وبائنة، والشأن في المنافقين أعوص وأنكى، لذا تلاحظ أن الأعراب جاؤوا للنبي ﷺ بكل سذاجة يقولون: آمنا . بمجرد أنهم تلفظوا بكلمة الإسلام، بل صار واحدُهم يريد منافسة أبي بكر في مرتبته، أو ينازع عمر في محلته، قال الطبري: إنما أُمر النبيُ ﷺ بقيل ذلك لهم، لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب، لا أسماء المهاجرين[٢]. وليس المنافقون بهذه السذاجة والسخف، بل هم أهل مكر وخداع وحيلة، فتراهم يوم أحد خرجوا أول الأمر في جيش النبي ﷺ ثم ما لبثوا أن ارتدوا ليدبوا الخوف والرعب في الصف المسلم، حيث رجع عبد الله بن أبي سلول بثلث الجيش، ولم يشاركوا في القتال في غزوة أحد، مع ملاحظة أنَّ هذا لا يمنع بقاء بعض المنافقين مع المسلمين ولم يرجعوا مع ابن أبي سلول، وهذا هو الذي تدل عليه الآيات، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران:١٥٤)، عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، قال أبو طلحة: فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه[٣] .وعند ابن حبان أضاف: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبنُ قومٍ، وأخذلُه للحق، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، أهل شك وريبة في أمر الله[٤]. وأظن ما أضافه

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت: دار القلم، ط بدون، ص(٢٠/٧).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، ص(٣٨٨/١٤).

(٣) البخاري، **الصحيح**، باب "أمنة نعاسًا"، ص(٤٨/٦).

(٤) الترمذي، **السنن**، كتاب التفسير، باب آل عمران، ص(٢٢٩/٥) قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله والطائفة الأخرى.

ابن حبان من إدراج قتادة وكلامه رحمه الله.

ونعود للآية، وهي بدورها تنقلنا لسورة الفتح إذ الارتباط بينهما وثيق، قال السدي عن آية الحجرات: نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح: أعراب مُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَسْلَمَ وَغِفَارٍ والدِّيلِ وأَشْجَعَ، قالوا آمنّا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى المدينة تخلّفوا، فنزلت. وبالجملة فالآية خاصة لبعض الأعراب، لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى[1]. وفي سورة الفتح كان الحديث عن ثلاث طوائف؛ ففي أول السورة ذكرت ثنتين: المنافقين والمشركين: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (الفتح: ٦)، ثم كان الحديث عن الفئة الثالثة، وهم الأعراب: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ (الفتح: ١١) وهم الأقرب للمؤمنين، وبينهم وبين الإيمان ضربة فأس فقط؛ لذا لم يذكرهم الله مع أهل الشقاء والعذاب، ولم يُصدِر الحكمَ النهائي فيهم بشكل قاطع، بل أمهلهم مرة أخرى وأخيرة في قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦)، أما المنافقين فصدر فيهم الحكم ابتداء، فكانوا في صف المشركين.

إن التأمل في سياقات سورة الفتح يؤكد وجود المفارقة بين المنافقين والأعراب، وإن كان الأعراب على خطر شديد، حيث تعلل الأعراب بالاشتغال بالأموال والأهلين يوم الحديبية، فعاقبهم الله بأن منعهم من المشاركة يوم خيبر وحرمهم من غنائمها: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح: ١٥)، لكنه لما علم في قلوبهم بذرة للخير، ومخايل الإسلام، أراد أن يؤلف قلوبهم، وأن يعطيهم فرصة

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ص (١٦/٣٤٨).

جديدة لإثبات صدقهم في إسلامهم الذي زعمُوه، وإيمانهم الذي ادعَوه، فقال: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ﴾ (الفتح:١٦)، قال الطاهر: نزلت في غزوة تبوك وهي بعد الحديبية بثلاث سنين، وفيها انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية، ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين كما تدعى طوائف المسلمين، فذكر هذا في هذا المقام إدخال للمسرة بعد الحزن، ليزيل عنهم انكسار خواطرهم من جراء الحرمان . وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركوا ما جَنَوه من التخلف عن الحديبية، وكل ذلك دالٌّ على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان، ألا ترى أن الله لم يعامل المنافقين المبطنين للكفر بمثل هذه المعاملة في قوله: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ (التوبة:٨٣)(١). لذا نقل الطبري أن منهم من رجع للحق وأظهر الصدق، قال: فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد(٢)، وهذا ما ستصرح به سورة التوبة لاحقًا.

فالأعرابية حالة وسط بين النفاق والإسلام، وكانت هذه الفرصة لهم لبيان موقفهم بشكل حاسم، فإما في فريق الإيمان وإما في فريق النفاق، ودليل أنهم حالة وسط أن كلامهم في كثير من الأحيان يشبه كلام المنافقين، فهم يتعللون بالأموال والأولاد كالمنافقين، ويظهرون خلاف ما يبطنون مِثلُهم كذلك: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ (الفتح:١١)، لكنهم ليسوا منافقين في معتقدهم، بل في بعض تصرفاتهم وردود أفعالهم، وليست مقاصدهم كمقاصد المنافقين، لذلك أمهلهم القرآن ومنحهم فرصة جديدة.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن الأعرابية شيء والبداوة شيء آخر، فكما أن النفاق لا يرتبط بمكان الإقامة والسكن، وإنما بمنهجية التفكير والمعتقد فإن الأعرابية كذلك، وليس الأمر متعلقًا بأهل البادية ألبتة.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص(١٢٤/٢٦).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، ص(٣٦٨/١٤).

إن مما يمكن أن يكون قاسمًا مشتركًا بين المنافقين والأعراب هو زمن ظهورهم فظاهرة الأعرابية برزت في المرحلة المدنية كالنفاق لكنها متأخرة عنها، إذ كانت أول إشارة قرآنية لها في سورة الأحزاب بعد الغزوة المسماة بها في السنة الخامسة للهجرة، أما ظاهرة النفاق فبدأت مع بداية الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وسورة البقرة تحدثت عنهم باستفاضة في صدرها، وهو أول ما نزل في المدينة المنورة(١)؛ حيث لم يرد ذكرهم في القرآن المكي، إذ الإسلام ضعيف وليس له شوكة تنكأ عدوه، ولا عصبة تحمي بيضته، أما في زمن الدولة والقوة فكانت محاربة الإسلام بصورة مباشرة مكلفة ولها تبعات وخيمة، فكان لا بد من الحيلة والخداع؛ لذا بدأت تتشكل ظاهر النفاق والأعرابية في مجتمع المدينة وما حولها، وبالتالي أخذ القرآن يصنف الناس على هذه الأسس، وهذا التصنيف نوع من الترتيب لأولوياته في معاملتهم، وتحديد الفئات القابلة للدعوة ذات الاستعداد للتجاوب معه ومع مقتضياته؛ لذا فإننا نجد القرآن باتًا في حكمه على المنافقين في سورة التوبة وليس كذلك مع الأعراب، بل بيَّن أن منهم أهل الخير والطاعة، وإن كان غالبهم غير ذلك، وكان حديثه عن الأعراب عقيب الحديث عن المنافقين، وهذا للقواسم المشتركة بينهما، غير أنها لا ترقى لجعلهما فريقًا واحدًا له حكم واحد، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (التوبة: ٩٠)، اختلف المفسرون في معنى المعذرين: فقال فريق: هم الذين جاؤوا النبي بأعذار كاذبة فلم يقبل النبي أعذارهم. وقيل: هم من المؤمنين الذين اعتذروا بأعذار صادقة فقبلها النبي ﷺ. والثاني هو الحق بدليل ذكره في مقابلهم: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فجعل الذين كذبوا الله ورسوله في صف مختلف، دلالة على تغاير أحوال الفريقين؛ إذ العطف يقتضي ذلك، فامتنع أن يكونا فريقًا واحدًا، قال ابن كثير: بَيَّن تعالى حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد، الذين جاءوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، ويبينون له ما هم فيه من الضعف، وعدم القدرة على الخروج، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة، قال الضحاك، عن ابن عباس: إنه كان يقرأ: ﴿وَجَآءَ

(١) ذكر ذلك السيوطي في عدد من الروايات في إتقانه، (١/١٣٦)، وكذلك رتبها الشيخ ملا حويش عبد القادر العاني في تفسير بيان المعاني، وكذلك فعل الأستاذ محمد عز دروزة في التفسير الحديث.

﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ بالتخفيف، ويقول: هم أهل العذر، وهذا القول هو الأظهر في معنى الآية لأنه قال بعد هذا: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: لم يأتوا فيعتذروا(١). ويؤيد هذا أن الآيات التالية جاءت لتعرض الأعذار المبيحة للتخلف عن الغزو: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩١- ٩٢)، لكن لماذا سمَّى القرآنُ الكريم الفريقَ المؤمن منهم أعرابًا، وقد علمنا أنها صفة ذم في الغالب؟ والجواب ظاهر؛ إذ عذرهم يدل على ضعف إيمانهم وتعلقهم بالدنيا، لكنه لم يكن عن قصد النفاق والإضرار بالمسلمين، فكانوا أقرب للمسلمين من المنافقين، بل بعضهم قاب قوسين أو أدنى من الدخول في تسمية المؤمنين، ومِثلُهم وفي نفس الغزوة الثلاثةُ من أصحاب النبي ﷺ الذين تخلفوا كذلك، مع فارق أن الثلاثة دخلوا(٢)، وقصة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة مشهورة معلومة، فلم يكن تخلفهم نفاقًا أو رضى بالكفر بعد الإسلام. ثم بعد الحديث عن هذه الأعذار المقبولة لتلك الفئة التي اعتذرت للنبي ﷺ أخذت الآيات تفضح وتكشف عوار القاعدين من الكاذبين فبيَّنت مزيدًا من التفاصيل عن رجسهم ومراوغتهم، فهم حتى لم يكلفوا أنفسهم مؤونة الاعتذار لرسول الله ﷺ، ولو على طريقة المنافقين، وهذا مما يدل على سذاجتهم وقلة عقولهم ومباينة حالهم لحال المنافقين في المكر والخداع: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص(٤/١٩٧).

(٢) وهم كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن أبي أمية، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة: ٩٣– ٩٦)، مع ملاحظة قضية مهمة جدًّا، وهي أن هذه الفرصة هي الأخيرة لهؤلاء الأعراب الذين تخلفوا يوم الحديبية، فقال الله لهم: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦)؛ لذلك كان حكم القرآن فيهم قاسيًا جدًّا يناسب جرمهم، وسوء تقديرهم لإكرام الله لهم، وإمهاله إياهم فقال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٩٧)، فجعلهم الأبعدين عن الحق، المستأهلين العذاب الأليم، وهي عادة القرآن الكريم في الذين يسألون الله الإمهال أو الآيات ثم لا يؤمنون، كما كان شأن الذين سألوا الله المائدة ليزدادوا إيمانا، فقال الله لهم: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ١١٥)، إذن هو حكم خاص في فئة خاصة، ولا يصح تعميمه على كل من يصح وصفهم بمصطلح الأعراب، فالتعريف في كلمة الأعراب ليس للاستغراق العام بل هو استغراق عرفيٌّ يعم طائفة معروفة، ويصح أن تكون للعهد، إذ تقصد المذكورين آنفا، أي الذين كذبوا الله ورسوله .

وبعد حديثه عن تلك الفئة الخاصة شرع ببيان حال فرقة أخرى من الميسورين من الأعراب الذين أبَوا المشاركة في القتال، فلم يجدوا بُدًا من فداء أنفسهم ببعض أموالهم ؛فأنفقوها دون أن يستشعروا الأجر، بل أحسوا أنه مغرم وخسارة، وبذل للمال في غير وجهه، فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٨)، وهم مع مَنْ قبلهم هم الأكثر بعدا عن الحق، وأكثر التصاقا بالمنافقين، إذ كان فتح مكة بوابة كبيرة لإسلام الكثيرين من الناس، وكما توسعت رقعة الإيمان فلقد توسعت رقعة النفاق والأعرابية، حتى الذين أسلموا كان في دينهم رقة وضعف، وبرزت تلكم الرقة في دينهم يوم انكشفوا عن رسول الله ﷺ في حنين، لكنهم وإن كان إسلامهم غير متمكن تمام التمكن فلم يخرجوا عن التسمية به، فهم يحبون الله ورسوله

ويرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه، لكنهم لم يبلغ الإيمان في نفوسهم درجة ترفعهم لحد التضحية بأنفسهم في سبيل الله، بل غايته الإنفاق من المال مع استشعار الأجر والثواب من الله الكريم: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ٩٩)، ولبيان أن هؤلاء الأعراب المؤمنين في مرتبة ليست عَليَّة أعقب الحديث عنهم بذكر المهاجرين والأنصار من أهل التضحية بالأنفس والأموال والأولاد: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، لكننا نلاحظ تفريق القرآن بين أنواع الأعراب، ولم يفعل ذلك في المنافقين؛ إذ كلهم في فسطاط واحد، أما الأعراب فهم حالة وسط بين النفاق والإسلام، وهذه الحالة الوسط يمكن تقسيمها لمراتب متفاوتة في البعد والقرب من الحق، فمنهم من تجاوز حالة الأعرابية للنفاق، ومنهم من صار للإيمان أقرب، ومنهم من خلط صالح عمله بالسيئات: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠١– ١٠٦)، وكما أسلفنا فلقد جعل الله عذابهم ضعفين؛ لأنه مكَّنهم من أكثر من فرصة للتوبة والإياب.

ثم بعد حينٍ يسيرٍ انتقلت الآيات للحديث عن الثلاثة الذين خلفوا، وكأنهم النموذج الحي للأعرابية المترددة بين الإيمان وبين شهوات النفس ونوازع الهوى، فهم حين تردُدِهم كانوا أعرابا، ثمَّ لما تابوا وتاب الله عليهم عادوا للمظلة الكبيرة، مظلة الإسلام: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٨، ١١٩)، وبعد ذكر توبتهم وتوبة الله عليهم ذكر ما يشير للحالة التي كانوا عليها، وخطورتها والواجب الذي يجب أن يفعلوه تجاه رسول الله ﷺ، والأخلاق التي ينبغي أن يتحلوا بها حيال الدين وحقوقه: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٠)، فالعودة للحديث عن الأعرابية بعد سرد قصة الثلاثة أمر مقصود، لا سيما أنه فصَّل الحديث عنهم من قريب وذكر أصنافهم ومنازلهم، ليؤكد أنهم حال تخلفهم عن رسول الله ﷺ والجهاد مع المؤمنين فإنهم تلبسوا ببعض الصفات الأعرابية التي لا تليق بالمؤمن الصادق، وإنما عطف الأعراب على أهل المدينة؛ لأن غالبهم كانوا من سكان البوادي ومن القبائل المحيطة بالمدينة المنورة كما فعل في

آية التوبة الآنفة: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ (التوبة: ١٠١)، إذ بين الأعراب والبدو عموم وخصوص من جهة؛ إذ الأعراب في وقت نزول القرآن كانوا في الغالب من سكان البادية، وإن كان لا يلزم أنَّ كل بدوي أعرابي، كما لا يلزم أن يكون كل أعرابي بدويًّا، فقد يكون المرء أوروبيًّا أو أمريكيًّا أو من الروس، لكنه يحمل عقلية أعرابية متحجرة جامدة ومنهجية تفكير مغلقة متصلبة، فلا يقبل تغيير واقعه ولا مخالفة موروثه، كما أنه لا يُجِلُّ العلم ولا يقدر العلماء، فضلًا عن ثني ركبتيه في مجالسهم وحلقاتهم .

## الخاتمة والنتائج:

بعد هذا الاستعراض لمصطلح الأعراب في القرآن والسنة النبوية يظهر لي أن ظلمًا كبيرًا وقع على البادية وسكانها، وهو ما لا يمكن أن يقصده القرآن الكريم، وما كان بحثي هذا إلا للدفاع عن القرآن الكريم من هذه التهمة الخطيرة؛ إذ ليس من منهجه محاربة فئات من المجتمع بالنظر لطبيعة عيشهم، أو مكان سكنهم أو ظروف حياتهم، وهذا أولًا، كما هو ثانيًا دفاع عن البادية وسكانها من هذه الرَّمْيَة، لأخلص لعدد من النتائج المهمة، وهي:

١. هناك فرق منهجي بين الاستخدام القرآني للمصطلح والاستخدام النبوي –دون اطراد– ومن جملة هذه المصطلحات: مصطلح الأعراب.

٢. دلالة مصطلح الأعراب في القرآن الكريم تعود لمنهجية التفكير وطريقة العيش والتعامل مع الأحوال المحيطة وردود الأفعال حيالها، والتي تنبي –في غالبها– على الموروث والعادة، بصرف النظر عن قربها أو بعدها من الحق. أما في الحديث الشريف فوردت بنفس مقصد القرآن الكريم أحيانًا، لكنها وردت في سواه؛ إذ لم تفرق بين البدوي والأعرابي في بعض الأحيان الأخرى، فالأعرابي هو كل جلف في الطباع، يتعلق بموروثاته وعاداته أكثر من الحق، وهو من يرفض التعلم، ولا يثني ركبتيه عند العلماء، ولا يقدرهم حق قدرهم، ثم هو نفعي يحرص على ذاته أكثر من أي شيء آخر.

٣. القرآن الكريم لا يصنف البشر بحسب توزيعهم الديموغرافي، فهو يمقت هذا الأمر ولا يفرق بين الناس إلا بالتقوى، وإنما كانت الإشارة لطائفة الأعراب للعلاقة بين هذه التسمية بمنهجية التفكير خاصتهم، والمرتبطة بصورة مباشرة بالتدين والصلة بالله تعالى.

٤. ظاهرة الأعرابية برزت في المرحلة المدنية متأخرة عن ظاهرة النفاق، إذ كانت أول إشارة قرآنية لها في سورة الأحزاب بعد الغزوة في السنة الخامسة للهجرة، أما ظاهرة النفاق؛ فبدأت مع بداية الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وسورة البقرة تحدثت عنهم باستفاضة في صدرها، وهو أول ما نزل في المدينة المنورة، فكانت الأعرابية حالة وسطًا بين النفاق والإيمان، وإنما حرص القرآن على هذا التصنيف استمالة لقلوبهم؛ إذ كانت بذرة الخير ظاهرة في بعضهم، خلافًا للمنافقين، كما كانت ظاهرة الأعرابية في أوجها بعد فتح مكة حيث كانت

الأعراب من العرب تعلق إيمانها بملكية مكة والسيطرة عليها، ونشأ هذا الأمر من حادثة الفيل؛ فارتبطت الأذهان بتعظيم مكة وتعظيم سكَّانها، وأنَّ الله لا يُمكِّنُ منها إلا من يحب، وأنه يَقْسِم من أرادها بسوء، فكان في ذهن الكثيرين من هؤلاء الأعراب أن خروج محمد ﷺ منها وعدم قدرته على دخولها علامة كونه على الباطل، وهو استدلال سخيف يدل على سذاجتهم وبساطتهم، فلما انتصر على أهل مكة وفَتَحها، ثم لم يُخسف به ومن معه، تيقنوا أنه على الحق.

٥. الأعرابية ظاهرة غير محصورة بمكان أو زمان أو لغة، فقد يكون عربيًا أعرابيًا وقد يكون فرنسيا أعرابيًّا، وقد يكون روسيًّا أو صينيًّا أو غير ذلك، يجمع بينهم جميعا منهج واحد ونمط خاص.

٦. لا بد من مراجعات لتراثنا وعدم التسليم لكل ما بلغنا عن السابقين، مع إجلالنا لجهودهم وتقديرنا لعلومهم، واعترافنا بسابقتهم وفضلهم، وأننا عيال عليهم، لكنَّ هذا لا يمنع من إمكان المراجعة والتصويب لبعض ما قد يخالطه الخطأ من أقوالهم وتقريراتهم.

٧. البادية والبدو برءاء مما ينسب إليهم من كونهم والأعراب سواءً، ودلالة لفظة بدوي تباين لفظة أعرابي، فالبادية بالنسبة لمحل السكن والأعرابية بالنسبة لمنهج التفكير، وإن صح أن يكون بينهما عموم وخصوص من جهة، وأنه يمكن أن يجمع بينهما قاسم مشترك في بعض الأحيان.

وختامًا .... فالحمد لله حمدًا لله لا يَزال يَبتدي، ويُستأنف كُلما يُوشك يَنتهي.

وكتبه منجد "محمد رضوان" أبو بكر
الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن الكريم
جامعة إسطنبول ٢٩ مايو / تركيا
٢٥ كانون أول ٢٠١٤م/٣ ربيع أول ١٤٣٦هـ

## ثبت المراجع والمصادر

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (ط١)، ١٩٩٧م، الرياض: دار الوطن.

٢. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط٢)، ١٩٩٣م، بيروت: مؤسسة الرسالة .

٣. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، (ط١)، ١٤١٢م بيروت: دار الجيل.

٤. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ط٢)، ١٣٧٩هـ بيروت: دار المعرفة.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، المقدمة، (ط١)، ٢٠٠٤م، بيروت: دار يعرب.

٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، (ط١)، ٢٠٠٠م، بيروت: مؤسسة التاريخ.

٧. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت:شهاب الدين أبو عمرو، (ط٢)، ١٩٩٨م، بيروت: دار الفكر.

٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (ط٢)، ١٩٩٩م، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع .

٩. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، مراجعة صالح بن عبد العزيز بن إبراهيم، (ط بدون) دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

١٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ) لسان العرب، (ط٣)، ١٩٩٩م، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١١. أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن شاهنشاه (٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر أو تاريخ أبي الفداء، (ط١)، مصر: المطبعة الحسينية.

١٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (ط١)، ٢٠٠٩م، الرياض: دار الرسالة العالمية.

١٣. أحمد بن حنبل، مسند، أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني(ت٢٤١هـ)، (ط بدون) القاهرة: مؤسسة قرطبة.

١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني، (ط١)، ١٩٨٩م، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، (ط١)، ١٩٨٧م القاهرة: دار الشعب.

١٦. البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، (ط١)، ١٩٩٨م، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الكبير سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، (ط١)، ١٩٩٥م، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٨. دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، (ط١)، ١٣٨٣ هـ، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

١٩. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت:عبد السلام محمد هارون، (ط١)، الناشر: الخانجي.

٢٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ت: عصام الحرستاني، خرج أحاديثه محمد أبو صعيليك، (ط١)، ١٩٩٨م بيروت: دار الجليل.

٢١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (ط بدون)، بيروت: دار القلم.

٢٢. الصبان، لمحمد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، حاشية العلامة الصبان على شرح الشيخ الأشموني على ألفية الإمام ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، (ط١)، ٢٠٠١م، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٤. العاني، ملا حويش آل غازي عبد القادر، بيان المعاني، (ط١) ١٣٨٢هـ، دمشق: مطبعة الترقي.

٢٥. العظيم أبادي، شرف الحق العظيم آبادي أبو عبد الرحمن، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، ت: أبو عبد الله النعماني الأثري، (ط١)، ٢٠٠٥م، بيروت: دار ابن حزم .

٢٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم البدري، (ط١)، ٢٠٠٠م، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٧. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: مجموعة منهم محي الدين ديب مستو، (ط١)، ١٩٩٦م، بيروت: دار ابن كثير.

٢٨. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١)، ١٩٥٤م، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، (ط١)، ٢٠٠١م، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٠. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (ت٦٧٦هـ)، شرح النووي على مسلم، (ط١)، ٢٠٠٠م، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣١. عوض، د. إبراهيم عوض، القرآن والحديث، مقارنة أسلوبية، (ط١)، ٢٠٠٠ م، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.